

التدخل التركي والاستعداد للمواجهة

د.أثير ناظم الجاسور

قسم العلاقات الدولية

تبدو الصورة معتمة وتكاد تكون معالمها غير واضحة تتطلق نحو اتجاهات متناقضة وساحة الصراع تتوسع والانتهاكات على قدم وساق يقابلها ضعف في الرد سواء السياسي أم العسكري، أم الاقتصادي لتبقى الارض معرضة في كل لحظة للقمع من هذا التنظيم وتلك الدولة، أن ادوات الصراع مختلفة عن السابق جماعات خارجة عن سلطة القانونين الداخلي (المحلي) والدولي، جماعات لها الكلمة العليا هي من تحدده، معتمدة على ما تحصل عليه من دعم وتمويل من الدول المجاورة لهذه الساحة للحد الذي سيجعلها منتشرة بطريقة لا يسيطر عليها حتى الدول الكبرى التي أنشأتها بسبب تمددها من جانب واستخدامها عامل استمرارية الدعم والتمويل فإن هذه الجماعات تعمل وبشكل مستمر على ايجاد الداعم الثانوي لها في حالة فقدانه من المصدر الرئيس.

نعم العراق يعاني من سوء الادارة والتنظيم السياسي الذي كان السبب الرئيس في انهيار المؤسسة العسكرية أما الهجمة الداعشية والترهل الاقتصادي الذي بانته ملامحه اليوم، كذلك يعاني سياسيوه من عدم القدرة على إدارة الصراع نتيجة للتنشيط وضعف العمل الجماعي المبني على أساس المشاركة في الادارة وصنع القرار ومشاكل كثيرة ارهقت الدولة في كل تفاصيلها، وما للوضع الاقليمي والدولي من تأثير بالغ على الداخل العراقي الذي اصبح يحمل كل عوامل عدم الاستقرار التي اربعت الجوار العربي وغير العربي والحديث عن التقسيم والفيدرالية في العراق قد تعطي اشارات للمكونات القومية والمذهبية في هذه الدول من السعي من اجل نيل ما تستطيع الحصول عليه في دولها.

قد يكون الوضع السياسي العراقي المرهق أحد الاسباب الرئيسة في فقدان العراق لهيبته لكن هذا لا يعني أنه فقد كل وسائله وادواته في المواجهة، فعلى سبيل المثال أن الوجود التركي داخل العراق تحديداً في المناطق التي يسيطر عليها تنظيم داعش

الارهابي مسالة مثيرة للشك في ظروف يكتنفها الغموض فيما يخص النية التركية من مسالة هذا الوجود الذي يجعلنا نطرح سؤالاً حول، ما نوع العلاقة بين تركيا وداعش ؟ علماً ان الجميع على يقين من قيام تركيا بتقديم الدعم والتمويل لهذه الجماعات المتطرفة لذلك فإن حجة أنها موجودة لتدريب قوات عراقية لمحاربة داعش قد تكون حجة غير مقنعة ومنافية للتوجهات التركية اتجاه هذا التنظيم الارهابي، فإذا عدنا إلى بدايات الازمة منذ الايام الاولى من احتلال المناطق الغربية والغربية الشمالية للعراق وقصة القنصلية التركية والموظفين الاتراك الذين اخذهم داعش كرهائن وكيف قامت تركيا بالتفاوض مع عناصر التنظيم الارهابي من أجل اطلاق صراحهم، وهذا يعكس مدى عمق العلاقة بين الطرفين خصوصاً وأن طلب الدخول والاتفاق عقد مع محافظ نينوى المقال وهذا يعكس مدى اطمئنان تركيا من هذه المنطقة على الرغم من أنها معرضة في أية لحظة للخطر من قبل داعش، وفي السياق ذاته ففي المؤتمر الصحفي الذي عقده وزير الدفاع الروسية حول الاوضاع القتالية في سوريا في ١٢ / ٢٠١٥ بين نائب وزير الدفاع الروسي " اناتولي انطونوف" أن تركيا عقدت صفقات مع داعش من خلال نقل النفط من العراق وسوريا بصهاريج إلى الداخل التركي، وأن الرئيس التركي " رجب طيب اردوغان" وعدد من افراد اسرته متورطين في هذه الصفقات من خلال بيع غير شرعي للنفط وخارج إطاره السوقي، بالتالي قامت القوة الجوية الروسية من استهداف مواقع استخراج النفط في سوريا وخلال الشهرين الماضيين قد دمرت القوة الجوية الروسية (٣٢ مجمعا نفطياً) و (١١ مصنعا نفطياً) و (٢٣ مضخة) و (١٠٨٠ صهريج) لنقل النفط ومشتقاته مما ساهم في خفض عمليات الاستخراج، وحسب التقييمات الروسية فإن الموارد التي تحصل عليها تنظيمات داعش المالية تقدر بـ (٣ ملايين دولار يومياً) وقد انخفضت بعد الضربات الجوية إلى (٥،١ مليون دولار)، لكن ما تزال التنظيمات هذه تحصل على الدعم والتمويل والتسليح من تركيا ودول المنطقة، بالتالي على العراق أن يتبع مجموعة من الخطوات السريعة التي تساعد على الاقل بالضغط على اي دولة تحاول خرق سيادته أو التدخل في شؤونه الداخلية.

من الناحية العسكرية فإن التقدم الحاصل على الارض الذي حققته القوات المسلحة العراقية والحشد الشعبي والعشائر في محاور عدة نجاحاً منقطع النظير لاسيما بالإمكانيات المحدودة التي تتمتع بها القوات العراقية، وعليه نجد أن التواجد التركي في هذا الوقت بالتحديد هو قد يكون محاولة لتشتيت تركيز القوات العراقية المتقدمة عن الهدف الرئيس عسى أن تعطي فسحة للجماعات المتطرفة من أخذ نفس عميق وإعادة رسم خطط جديدة وتكتيكات تساعدهم على إدارة المعركة بوسائل أكثر دقة بعد أن انكشفت كل استراتيجياتهم أمام القوات العراقية المتقدمة، وهنا على العراق أن يتوجه هو ايضاً بالعمل على محاور عدة بأن تستمر قواته بالتقدم في محاورها القتالية غير مكثرثة بما يحدث على الارض لأن المرحلة القادمة ستشهد تمادي تركي في مناطق اخرى تحاول من خلال هذه الخطوات من كسب الوقت لها ولحلفائها واشغال العراق بأكثر من مشكلة لأبعاده عن أن يكون جزءا من الجبهة السورية محاولة بهذه الحركة من عزل الروس والسوريين في جبهة والعراق في جبهة ثانية وكسر اي فكرة للتحالف بينهم مما يساعد الولايات المتحدة وحلفائها على تنفيذ سياساتهم بشكل هادئ ومرن.

على العراق الاستعداد للمرحلة القادمة من خوض مواجهة جديدة مع تركيا لا يستعمل فيها الادوات العسكرية، فله ادواته الضاغطة فمثلاً اقتصادياً حجم التجارة بين البلدين بالنسبة للبضائع القادمة من تركيا تقدر بحدود (١٠ مليار دولار سنوياً) وعليه أن يستخدم هذا الرقم كورقة للضغط فيما إذا تمادت تركيا في سياستها هذه، إلى جانب اجراءات اقتصادية أخرى كمنع السياحة للعراقيين لتركيا ومنع الشركات التركية من مزاوله اعمالها في العراق سحب المشاريع الكبيرة من الشركات التركية مع أخذ تعويضات منها لتأخيرها في العمل على اعتبار هناك شركات تركية لها سنوات وهي تعمل في مشاريع لن تنجز، ايضاً و كأجراء اخر ممكن التلويح باتخاذ قرار منع البضائع التركية للدخول للعراق بعد ايجاد البديل عنها هذا قد يحدث نوع من الضغط على اعتبار العراق سوقاً متميزاً بالنسبة للبضائع التركية، قد يقوم الاتراك بالتهديد بقطع المياه وهي تعلم أن هذه الورقة جعلت العراق في موقف حرج.

وسياسياً على الخارجية العراقية ان تبدأ بالبحث عن وسائل واليات تهدف الوصول بالتفكير التركي العمل وفق الحد من الخطر العراقي عندما يبدأ الحديث مصير حزب العمال الكردستاني على اعتباره منظمة متواجدة داخل العراق لها مصالحها في الداخل التركي وهي تحاول الحصول على حقوقها من جراء الاضطهاد الذي عانى منه الاكراد في تركيا من تهيش وتكيل إلى جانب الاجراءات ضدهم من جراء السياسات المتطرفة في تركيا، وعليه فإن من البديهي أن يكون لحزب العمال ردة فعل كبيرة على هذه السياسات التي يدعمها العراق على اعتبار أن العراق يمر بمرحلة كانت هي نتيجة لسياسات خاطئة سابقة، بهذه اللهجة من الخطاب يكون العراق مستعد من الناحية النظرية للمواجهة والضغط السياسي على تركيا لما يشكله حزب العمال من خطر على النظام من وجهة نظر النظام السياسي والمجتمعي في تركيا، وهي اليوم تحاول ان تظهر نفسها الحامي للأكراد في العراق من خلال مساعدتهم ويعلم الاكراد قبل الجميع أن تركيا مهما بلغ بها الوعد فهي تعمل على أن تكون كردستان العراق الخط الاستراتيجي العازل بين تركيا وبين ما تبقى من العراق التابع لإيران وفق التصورات التركية وكذلك ابعاد كردستان من التواصل وكسر هذه الحلقات حتى تكون كردستان تحت السيطرة التركية المباشرة فيما بعد.

أما المواجهة الثانية فتكون مع الضامن القوي لتركيا والدول الداعمة لداعش في الجبهتين السورية والعراقية المتمثلة بالولايات المتحدة وحلف شمال الاطلسي، فعلى الرغم من أن الحلف عرض خدماته فيما يخص تدريب القوات الامنية العراقية إلا أن هذا لا يمنع من أن ما يحدث في العراق الحلف ليس على دراية فيه خصوصاً وأن أغلب دول الحلف متضررة من الفكر المتطرف المدعوم من تركيا وفرنسا كانت على موعد مع هذا تطبيقات عملية لهذا الفكر، وقد بين نواب البرلمان الاوروبي الخطر القادم من السعودية وقطر وكذلك تركيا المتمثل بدعمهم للجماعات الارهابية، لذلك على العراق أن يستغل هذه السياسات الشاجبة لهذه الجماعات ومن يدعمها ويستغل عرض حلف شمال الاطلسي بشأن تدريب القوات العراقية الذي يعطي دافعاً للعراق من التماس مساعدة الحلف في جوانب عدة على اعتبار أن الحلف هنا سوف يبذل الجهد من أجل الحفاظ على تجربته على اقل تقدير من الفشل، أو يلجأ العراق إلى

التهديد بالبحث عن حليف جديد غير الولايات المتحدة ينخرط معه بشكل كامل والتعاون في المجالات كافة معها واعتبار الجبهتين السورية والعراقية واحدة وهذا الحليف هو روسيا، أيضاً التهديد بتوجيه ضربات جوية لكل التجمعات المتواجدة داخل العراق وعلى الحدود مع سوريا واعتبار اي متحرك على الارض غير القوات العراقية هو هدف لسلاح الجو العراقي، والمطالبة بدعم روسي كامل، براً وجواً في حال لم يتدخل الحلف في المساعدة على انهاء الانتهاكات على الاراضي العراقية، إلى جانب الاعلان عن وضع حصة كبيرة من النفط العراقي تحت تصرف روسيا وفتح افاق اقتصادية جديدة مع دول اسبوية كبديل اقتصادي عن تركيا وحلفائها، على السياسيين العراقيين أن يعملوا لا على اساس ما لديهم من امكانيات لأن هذا يعني انعدام الفرصة على المناورة وتحقيق الهدف، والاعتماد على استغلال الفرص وتحديد الموقع من الصراع.

ولكن ويكل واقعية فإن القوى الكبرى والقوى المساندة لها لا تتجه للمواجهة المباشرة فيما بينها للمصالح المشتركة التي تربطها على الرغم من النقاطات إلا أن مهما ارتفع سقف التهديد باستخدام القوة من هذه القوة أو تلك حتى وان حدث اعتداء في نقاط معينة إلا أنها لا تتواجه وإنما كل المشكلات ممكن أن تحل على طاولة المفاوضات ويبقى الصراع على هذه المسألة أو تلك القضية هو نوع من الروتين الدولي الذي يحدث بين مدة وأخرى بدعوى تحول النظام، وعلى العراق أن يستعد للمواجهة من خلال تحديث الياته واتباع اساليب علمية جديدة بالعمل سواء في سياسته الداخلية أم الخارجية.